# الباب الثاني

# تفسير القرآن في عهد التابعين

# الفصل الأول
# ما هي أهم مصادر تفسير التابعين؟

من المعلوم أن الله أنزل القرآن على أمة أميّة ، لكنه سبحانه وتعالى أَوْكَلَ مسألة تبيانه للنبي ﷺ ، من حيث إن الذي فهمه المراد من تفسيره هو سبحانه ، مصداق ذلكَ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾[1] ومن فضل الله وكرمه على هذه الأمة أن أنزل القرآن بلغتها العربية ، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[2] لكن ـ كما مر معنا ـ فإن النبي ﷺ لم يفسّر القرآن كلهُ ، إنما اقتصر على بعضِ الإشكالات ، وأجاب عن بعض التساؤلات ، وطبّقَ كل ما وردَ في القرآنِ بشكلٍ علميّ ، وقد أحسنَ من قال: إذا كانَ القرآن كوناً صامتاً فإن رسول الله ﷺ كان قرآناً ناطقاً يمشي على الأرض.

وهكذا عاش الصحابة الأكارم مع القرآن ، بحيث تفاوتت مراتبهم في فهمه ، وقد أشكل على بعضهم آيات منه ، بينما ظهرت لبعضهم الآخر.

مثال ذلك:

ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن أنس رضي اللهُ عنه: أن عمر بن الخطاب رضيَ اللهُ عنهُ قرأ على المنبر قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[3]

---

(١) القيامة: ١٧ ـ ١٩.
(٢) إبراهيم: ٤.
(٣) عبس: ٣١.

فقال: هذه الفاكهة عرفناها ، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلُّف يا عمر![1].

ومثال آخر: ما أخرجهُ أبو عبيدة عن طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ لا أدري معنىٰ: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[2] حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر ، فقال أحدهما: أنا فطرتها ، والآخر يقول: أنا ابتدأتُها[3].

وقد برز من الصحابة من تصدر للتفسير ، وكانَ على رأسهم الخلفاء الأربعة ، وخاصةً علي رضي اللهُ عنهُ ، إضافة إلى ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وعائشة ، ورضي اللهُ عنهم أجمعين ، ولما كان عهد التابعين ، نرىٰ أنهم اعتمدوا في تفسيرهم للقرآن على المصادر التالية:

**١ ـ القرآن الكريم:**

شاء اللهُ أن يكون كتابهُ الخالد كله معجزة ، حتى في طريقةِ عرض الأحداث التاريخية ، فتراه يشرحُ ما جاء موجزاً في مكان ، كقصةِ آدم عليهِ السلام مع إبليس ، ويسهب في مكانٍ آخر ، وهكذا.

لذلكَ ، فمن تفسير القرآن بالقرآن: أن يحمل المجمل على المبين ليفسّر به ، مثال ذلكَ:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾[4] فسّر بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾[5] أي العذاب الأدنىٰ المعجّل في الدنيا؟

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/ ١١٣.
(٢) يوسف: ١٠١.
(٣) الإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٤.
(٤) غافر: ٢٨.
(٥) غافر: ٧٧.

ومن تفسير القرآن بالقرآن: حمل المطلق على المقيد في صورة اختلاف الحكمين عند اتحاد السبب ، ومثّل له بآية الوضوء والتيمم ، فإن الأيدي مقيدة في الوضوء بالغاية ، قال تعالى: ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[1] .

ومطلقة في التيمم قال تعالى: ﴿ فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ﴾[2] فقيدت في التيمم بالمرافق أيضاً[3] .

مثال آخر: آية الظّهار مع آية القتل ، ففي كفارة الظّهار يقول اللهُ تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾[4] وفي كفارة القتل يقول الله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[5] فيحمل المطلق في الآية الأولى على المقيد في الآية الثانية ، بمجرّد ورود اللفظ المقيّد من غير حاجة إلى جامعٍ عند هذا البعض من العلماء[6] .

ومن تفسير القرآن بالقرآن: الجمعُ بين ما يتوهم أنه مختلف ، كخلق آدم من تراب في بعض الآيات ، ومن طينٍ في غيرها ، ومن حمأ مسنون ، ومن صلصال ، فإن هذا ذكر للأطوارِ التي مرّ بها آدم عليهِ السلام ، من مبدأ خلقهِ إلى نفخ الروحِ فيه .

**٢ ـ المصدر الثاني للتفسير: النبي ﷺ:**

لذلك كان الواحدُ من الصحابة الأكارم إذا أشكلت عليه آية من كتاب الله ، رجع إلى رسول الله ﷺ في تفسيرها .

ذلك لأن وظيفة الرسول البيانَ ، فالسنة النبوية شارحة للقرآن ،

---

(١) المائدة: ٦ .
(٢) المائدة: ٦ .
(٣) مسلم الثبوت وشرحه: ١/ ٣٦١ .
(٤) المجادلة: ٣ .
(٥) النساء: ٩٢ .
(٦) المستصفىٰ للغزالي: ٢/ ١٨٥ .

مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] ومصداق ذلكَ ما أخرجهُ أبو داود في سننهِ من أن النبي ﷺ قال: «ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجلٌ شبعان على أريكتهِ يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيهِ من حلالٍ فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرّموه».

ولدىٰ الرجوعِ إلى كتب السنةِ نجد أنها قد أفردت للتفسيرِ باباً من الأبواب التي ضمت أحاديث النبي ﷺ مثال ذلك: ما رواه أحمد والشيخان عن ابن مسعود رضي اللهُ عنه قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[2] شقّ ذلكَ على الناسِ، فقالوا: يا رسول الله! وأيّنا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبدُ الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3] إنما هو الشرك».

وما أخرجه الترمذي وابن جرير عن أُبيّ بن كعب رضي اللهُ عنه أنه سمعَ رسول اللهِ ﷺ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[4] قال: «لا إله إلا الله».

### ٣ ـ المصدر الثالث: تفسير الصحابة رضي اللهُ عنهم:

اعتبر العلماء أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي له حكم المرفوع، خاصة إذا كان ذلكَ يتعلّقُ بأسباب النزول، ولا مجال للرأي فيهِ، ولذلكَ لا يجوزُ رد تفسير الصحابي اتفاقاً، ورحم اللهُ الحافظ ابن كثير عندما قال في مقدمة تفسيره: (حينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن

---

(١) النحل: ٤٤.
(٢) الأنعام: ٨٢.
(٣) لقمان: ١٣.
(٤) الفتح: ٢٦.

ولا في السنة ، رجعنا في ذلكَ إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرىٰ بذلكَ ، لما شاهدوهُ من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لَهُمْ من الفهمِ التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، ولا سيما علماءهم وكبراءهم ، كالأئمةِ الأربعة ، والخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود رضي اللهُ عنهم . .)[1] .

ومن أشهر المفسرين من الصحابة :

عبد الله بن عباس ، عبد الله بن مسعود ، عليّ بن أبي طالب ، وأُبي بن كعب رضي اللهُ عنهم أجمعين[2] .

**٤ ـ المصدر الرابع : أهل الكتاب :**

لدىٰ مقارنة الكتب السماوية ، وخاصة القرآن مع التوراة والإنجيل يتبين لنا أن القرآن يعتمد على الإيجاز ، بينما تعتمد التوراة والإنجيل على الإطناب ، وبالتالي فالقرآن يركز على جوهر الموضوع ، وروحه ، ليستخلص الإنسان العظات والعبر مثال ذلكَ :

(قصة آدم عليه السلام. ورد ذكرها في التوراة ، كما وردت في القرآن في مواضع كثيرة ، وأطولها ما ورد في سورة البقرة ، وما ورد في سورة الأعراف ، وبالنظر إلى هذه الآيات من السورتين ، نجد أن القرآن لم يتعرض لمكان الجنة ، ولا لنوعِ الشجرة التي نُهي آدم وزوجه عن الأكل منها ، ولا بيَّنَ الحيوان الذي تقمصه الشيطان فدخل الجنة ليُنزل آدم وزوجه ، كما لم يتعرّض للبقعة التي هبط إليها آدم وزوجه وأقاما بها بعد خروجهما من الجنة ، إلى آخر ما يتعلق بهذه القصة من تفصيل وتوضيح.

ولكن نظرة واحدة يجيلها الإنسان في التوراة يجد بعدها أنها

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٩.

(٢) للتوسّع يراجع كتاب: تفسير الصحابة ، للمؤلف: ٦٦ ـ ٧٤.

تعرضت لكل ذلكَ وأكثر منه ، فأبانت أن الجنةَ في عدن شرقاً ، وأن الشجرةَ التي نُهينا عنها كانت في وسط الجنة ، وأنها شجرة الحياة ، وأنها شجرةُ معرفة الخيرِ والشر ، وأن الذي خاطب حوّاء هو الحيّة ، وذكرت ما انتقم اللهُ به من الحية التي تقمصها إبليس ، بأن جعلها تسعىٰ على بطنها وتأكل التراب ، وانتقمَ من حوّاء بتعبها هي ونسلها في حبلها . . إلى آخر ما ذكر فيها مما يتعلّق بهذه القصة . .[1] .

وقد قلنا سابقاً: إن الصحابة الكرام لم يأخذوا عن أهل الكتاب إلا اليسير ، وذلكَ في الأمور التي لا تتعلق بالعقيدةِ ، ولا الأحكام .

وبالتالي ، فقد كان الصحابةُ لا يقبلون كل ما جاء من أهل الكتاب بل كانوا يتخيرون الصواب ما استطاعوا ويردّون على أهل الكتابِ أقوالهم ، إن كانت لا توافق وجه الصواب .

أما التابعون فقد توسّعوا في الأخذ عن أهل الكتاب ، فكثرت على عهدهم الرواياتُ الإسرائيلية في التفسير ، ويرجع ذلكَ لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام ، وميل نفوس القوم لسماعِ التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية ، فظهرتَ في هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدّوا هذه الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجود عند اليهود والنصارىٰ ، فحشوا التفسير في كثير من التفسير بكثيرٍ من القصص المتناقض .

ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) الذي نسبه أبو حاتم إلى أنهُ استقىٰ علومهُ بالقرآن من اليهود والنصارىٰ ، وجعلها موافقة لما في كتبهم . .)[2] . . . وقد وقف الدكتور الذهبي في تحديد أقطاب الروايات الإسرائيلية ، بحيث يؤكّد الدكتور على أن أغلب ما هو موجود من

---

(١) التفسير والمفسرون: ١/ ١٦٨ .

(٢) التفسير والمفسرون: ١/ ١٧٥ .

إسرائيليات في كتب التفسير جاء عن طريق أربعة أشخاص هم:

ـ عبد الله بن سلام: أسلمَ عند قدوم النبي ﷺ المدينة ، وكان عالماً بعلومِ التوراة ، لذلكَ نرىٰ ابن جرير الطبري ينسب إليهِ كثيراً من الأقوال وتوفي بالمدينةِ عام ٤٣ هـ.

ـ كعب الأحبار: يهودي من يهود اليمن ، أسلم في خلافة عمر رضي اللهُ عنه ، وكان لديه علم كثير بتعاليم التوراة ، تحوّل إلى بلاد الشام ، فسكنها حتى توفي في مدينة حمص عام ٣٢ هـ.

ـ وهب بن منبه: كان من أبناء فارس ، كثير الاطلاع على الكتب القديمة ، أخذ عن كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، وألف كتاباً في المغازي ، ولد عام ٣٤ هـ ومات عام ١١٠ هـ.

ـ عبد الملك بن جريج: أصله رومي نصراني ، وهو أوّل من صنف الكتب بالحجاز ، وهو قطب الإسرائيليات في عهد التابعين ، ولد عام ٨٠ هـ ومات عام ١٥٩ هـ.

**٥ ـ المصدر الخامس: اجتهادات التابعين:**

كان التابعون يبحثون في المصادر الأربعة السابقة (تفسير القرآن بالقرآن ، ثم التفسير النبوي ، ثم تفسير الصحابة ، ثم الاستئناسُ بما عليه أهل الكتاب) فإن لم يجدوا فيها ما يفسّر ، عمدوا إلى الاجتهاد والاستنباط ، خاصة عند من يملكون أدوات الاجتهاد في التفسير مثل معرفة عادات العرب ، ومعرفة أوضاع اللغة ، وأسرارها ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، مع قوة الفهم وسعة الإدراك.

ولذلك قامت مدارس علمية ، في عهد التابعين ، تهتمُّ بالتفسير ، فتتلمذ فيها كثير من الناس ، وتخرّج منها كثير من المسلمين.

* * *